٩٢-لاتحكم على أحد قبل أن تختبره

قال حكيم : "لا تحكم على الآخرين من أول نظرة فلا يوجد فرق بين لون الملح و لون السكر "و لكن ستعرف الفرق بعد التجربة". وقال الشاعر زهير :
ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وقال المثل : تسمع بالمعيدي خير من ان تراه .
الحقيقة كثيرا ما تنطبع في ذاكرتي تصورات ، قد تكون حسنة وقد تكون سيئة ، وأرسم منها الشخصيات التي أعرفها . فأقول عن هذا طيب ، وهذا خلوق ، وهذا محترم . وهذا سيء، وهذا بخيل وهذا كريم ، صفات كثيرة تراودك عن الناس الذين تعرفهم في حياتك . ولكن الزمن يكشف لك المفاجآت ، فما حسبته كريما ، وجدته بخيلا ، وماحسبته جبانا ، وجدته شجاعا. تكشف لك الحياة كل المتناقضات . وهذا يحصل بعد الاحتكاك بالآخرين وتجربتهم عن قرب . وسترى العجب العجاب ، فلا تحكم على شخص من نظرة إلا بعد تجربة ومعرفة ، ولا تذم شخصا وانت لم تختبره ولم تعرفه . إذا أردت دوام صداقتك مع إنسان لا تقترب منه كثيرا ولا تسكن معه . لأنك ستتكشف أمورا لاتسرك . وربما وجدت عادات في صديقك ،أنت لا تحبها. وربما عادات موجودة فيك هو لايطيقها . فيحصل التنافر والكره والحقد والبغضاء والقطيعة . بعد مودة سنين . ولا تحكم على شخص من منظره وشكله ، النصابون والمحتالون، أهل براعة في الكلام الحسن ، وأهل تمثيل في الأخلاق ، وأهل أناقة في اللباس ، حتى إذا تمكنوا منك احتالوا ونصبوا عليك وأوقعوك في المأزق . وربما تعجبك شخصية فتبهر بوسامتها واناقتها فإذا الغباء ملء ثوبه ، والسذاجة ملء شدقيه .واعرف نفسك قبل أن يكتشفك غيرك ، فليس من المعقول أن تعيب ولا تعاب ، وأن تطلب ولا تعطي . اعرف أن من يخالطك سيكتشف فيك الكثير مما لاتعرفه عن نفسك . يقول طه حسين: (أحسن المعرفة معرفتك لنفسك، وأحسن الأدب وقوفك عند حدك.) ويقول طه حسين أيضا : (اياك و الرضى عن نفسك فإنه يضطرك إلى الخمول، وإياك والعجب فإنه يورطك في الحمق، وإياك والغرور فإنه يظهر للناس نقائصك كلها ولا يخفيها إلا عنك .) الناس مثل الكتاب ، قد يعجبك الغلاف الجميل وعندما تقرا مابين دفتيه تجده كتابا سخيفا لم تستفد منه شيء ، والناس كذلك عندما تقرأهم وتختبرهم تعرف مضمونهم . المواقف هي التي تكشف لك المعادن الأصيلة ، تكتشف الصديق عند الضيق ، وتكتشف الحلم عند الغضب .والمعادن الثمينة لا يتغير لونها ، والأصيلون لاتتغير طبائعهم الجميلة ،أما المتطبعون يعودون إلى جذورهم ، وكما يعرف الذهب بالحرق ، اختبر معارفك بالأزمات والمواقف والحوادث ، فكم من كاتب كتب وأحببت كتابته ! وعند المواقف تجده كاذبا لا يعرف الوطنية ، منافقا متملقا ، عندها تكره كتبه وكتاباته ، في أزمات الأوطان كنا نقدر بعض الممثلين ونراهم قدوة للناس ، ولكن الحوادث القاسية أظهرت معدنهم ، فإذا بهم أبواق للنفاق . ومن حكم السلف الصالح : لا تمدحنَّ امرأً حتى تجربه. ذكر أن رجلا مدح آخر في وجهه فقال له : يا عبدالله لِمَ مدحتني ؟ أجربتني عند الغضب فوجدتني حليما ؟ قال : لا،قال : أجربتني في السفر فوجدتني حسن الخلق ؟ قال : لا. قال : أجربتني عند الأمانة فوجدتني أمينا ؟ قال : لا. قال : فلا يحل لأحد أن يمدح آخر ما لم يجربه في هذه الأشياء الثلاثة.
لا تمدحنَّ امرأً حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب.